

الفصل الأول سيرة الطباطبائي

أولاً: الحالة الثقافية في عصر الطباطبائي

ثانياً: سيرته الزمنية:

- مولده.

- نسبه.

- وفاته.

ثالثاً: سيرته الفكرية:

- أساتذته.

- تلاميذه.

- آثاره العلمية (العربية والفارسية).

- المناهج التي اشتغل عليها بشكل عام.

أولاً

الحالة الثقافية في عصر الطباطبائي

تعرّض العالم الإسلامي عموماً؛ مع بدايات مطلع القرن العشرين إلى جملة من الغزوات والاجتياحات العسكرية، والاقتصادية، والفكرية والثقافية، التي كان لها التأثير السلبي المباشر على جملة حياة هذه المجتمعات الإسلامية.

ويعتبر الغزو الفكري الثقافي من أخطر أنواع الغزو الذي يمكن أن تتعرض له أمة من الأمم، أو مجتمع من المجتمعات، حيث يعمل هذا الغزو على فصل المجتمع أو الأمة عن تراثها الفكري والأخلاقي والديني، بهدف التشويش أو زلزلة الهوية الحضارية عند هذه الشعوب، حتى يسهل بالتالي إلحاقهم في دائرة مفاهيم وأفكار الحضارة الغازية، والهدف من وراء هذا الأمر في نهاية المطاف؛ جعل هذه الشعوب تقبّع تحت وطأة الحاجة إلى اللحاق بركاب الحضارة الغازية مع ما يستتبع ذلك من تغيير في طريقة التفكير، والنمط الاجتماعي والسلوكي، كذلك الإستهلاكي، حيث تقوم هذه القوة الغازية عادة بفرض مجموعة من المواد الإستهلاكية التي تنتجها ومن ثمّ تسويقها حتى تستفيد من حجم عائدات هذه الأسواق الجديدة، في نفس الوقت الذي تقوم فيه هذه القوة الغازية باستغلال الثروات الطبيعية الموجودة في البلاد المغزية لصالحها.

وعادة ما تتستر هذه الحركة بجملة من العناوين البراقة التي تهدف إلى إلهاء وإغراء الناس بها، وهذا كله يهدف إلى إبقاء واستمرار التسلط على هذه الشعوب، وحكمهم لأطول مدة ممكنة.

ويمكن تقسيم البيئة الثقافية التي نشأ وعاش فيها العلامة الطباطبائي والتي ساهمت في تبلور شخصيته الثقافية وأسلوب عمله إلى ثلاث مراحل، وهي:

١ - الغزو والإجتياح العسكري لإيران.

٢ - الغزو والإستغلال الاقتصادي للموارد الإيرانية.

٣ - الغزو الفكري والثقافي.

وتجدر الإشارة إلى أننا لن نتوسع في استعراض النقطة الأولى والثانية، في حين أننا سنحاول التوسع في دراسة النقطة الثالثة لارتباطها المباشر ببحثنا؛ وللدور الذي قام به العلامة الطباطبائي بهذا الخصوص.

١ - الغزو والإجتياح العسكري^(١):

تمتاز إيران بموقع جغرافي جعل منها جسراً للمواصلات البرية بين منطقة الشرق الأقصى في آسيا، ومناطق البحر الأبيض المتوسط وأوروبا. إذ تحتل إيران جغرافياً القسم الأكبر من الهضبة الآسيوية التي تمتد ما بين حوض نهر السند شرقاً ودجلة والفرات غرباً، وكان لهذا

(١) الأوسي، علي، الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان، مرجع سابق، ص ١٨ -

الموقع الجغرافي الأثر الكبير على المدن الإيرانية، وفي الوقت نفسه جرّ عليها المصائب والويلات.

وفي بدايات القرن العشرين كانت تحكم إيران الأسرة القاجارية التي حكمت من عام ١٧٩٥م حتى عام ١٩٢٤م.

وعلى الرغم من عدم اشتراك دولة فارس (إيران) في الحرب العالمية الأولى وإعلان حيادها؛ فقد أصبحت مسرحاً للعمليات العسكرية؛ إذ احتلّ الروس المناطق الشمالية من إيران، واحتلت بريطانيا المناطق الجنوبية منها، واجتاز الأتراك حدود فارس الغربية بعد انتصارهم على القوات البريطانية في كوت العمارة بالعراق متجهين صوب العاصمة طهران للحيلولة دون الإتصال بين البريطانيين والروس؛ بيد أنهم ما لبثوا أن انسحبوا بأمر من حكومتهم.

وصفوة القول: إن إيران وجدت نفسها محتلة كرهاً، ولم تعد تتمكن من إحكام سيطرتها على أراضيها.

وبعد الحرب العالمية الأولى، انتهزت بريطانيا فرصة إخلاء القوات الروسية للأراضي الإيرانية، فاستولت بدورها على كافة المناطق الإيرانية، ولكن بريطانيا اضطرت إلى توقيع اتفاق عام ١٩١٩م، الذي يقضي باستقلال فارس وسلامة أراضيها، تحت ضغط ثورة الشعب المسلم الذي استشعر بالوصاية البريطانية على بلادهم.

وأما الإتحاد السوفياتي، فقد تغيرت سياسته تماماً بعد انقلاب عام ١٩١٧م، فألغيت الامتيازات التي كانت قد حصلت عليها روسيا القيصرية، واعترف لإيران بمكانتها الرسمية وسلطتها على كافة مناطقها، ولكن على صعيد آخر، شجع الإتحاد السوفياتي الحركات

الانفصالية في إيران بهدف إتعاب الحكومة الإيرانية، واستفزاز الوجود البريطاني فيها.

وفي عام ١٩٢١م، تمكّن رضا خان بهلوي من القيام بانقلاب، وإسقاط الوزارة.

ومع هذا التغير، فإن دكتاتورية رضا خان كانت بارزة بوضوح، حيث قام بنفي رئيس وزارته الذي كان قد عينه بعد الانقلاب، ومن ثمّ إعلانه إنهاء حكم الأسرة القاجرية عام ١٩٢٥م، وتنصيب نفسه أول ملك للدولة البهلوية في إيران عام ١٩٢٦م.

وقد عمد طوال مدة حكمه إلى ممارسة الدكتاتورية وسحق الحركات الشعبية.

وعند اندلاع الحرب العالمية الثانية، وعلى الرغم من موقف إيران المحايد، فقد احتلت من قبل الحليفتين (بريطانيا، والاتحاد السوفياتي) باعتبارها أقصر الطرق لإرسال الإمدادات العسكرية لمواجهة الزحف الألماني.

وفي عام ١٩٤١م، أجبر رضا خان بهلوي على التنازل لابنه محمد رضا عن العرش.

وفي عام ١٩٤٣م، دخلت إيران الحرب ضد ألمانيا، إلا أن الروح التوسعية لكل من بريطانيا والاتحاد السوفياتي في إيران لم تتغير.

فقد شجعت هاتان الدولتان الحركات الانفصالية في إيران مثل حركة الأكراد عام ١٩٤٦م، وحركة آذربيجان الإقليمية، وكانتا بإيعاز من الاتحاد السوفياتي.

وأما بريطانيا، فقد شجعت القبائل البختيارية في الجنوب، كما أثارت قضية عربستان، وكان ذلك بدافع الهيمنة وبسط النفوذ.

وقد اعتبرت مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية بالنسبة لإيران، مرحلة بداية التدخل الأمريكي؛ إذ في هذه المرحلة أخذت أمريكا تتدخل بشكل فعال في شؤون إيران، وقد بدأ يستقطب المعادلة السياسية الدولية آنذاك قطبان هما: أمريكا وروسيا، يمثل كل منهما معسكراً له استراتيجيته الخاصة به، وانتهى الأمر ببسط أمريكا نفوذها على إيران، وانحسار النفوذ الروسي عنها بشكل كبير.

واستمرّ النفوذ الأمريكي في إيران حتى عام ١٩٧٩م، حيث تمّ خلع الشاه محمد رضا بهلوي نتيجة ثورة الشعب، وقيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

ومما تقدّم، يظهر لنا إن العلامة الطباطبائي قد عاصر هذه المرحلة كلها، ووعى أحداثها، واستخلص العبر منها، وساهم بشكلٍ فاعل وأساسي بالتصدي لها في بعض المراحل - سنأتي على ذكرها في سياق البحث - وساند ولو بشكل غير مباشر بقيام الثورة، وقرّت عينه وطابت نفسه بعد انتصار الثورة وقيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية؛ ثم ما لبث بعدها إلاّ قليلاً وارتحل إلى جوار الله.

٢ - الاستغلال الاقتصادي للموارد الإيرانية^(١):

تعتبر إيران من البلاد الغنية بالثروات الطبيعية، وهذا ما جعلها عرضة لأطماع الغزاة على مدى تاريخها؛ فتربتها الخصبة، وغنى جبالها بالمعادن النفيسة والمعادن الأخرى، واكتشاف البترول لاحقاً فيها، أكسبها أهمية دولية.

(١) الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان، م.م، ص ١٦ - ٢٦.

يضاف إلى ذلك، ثروتها الزراعية التي كانت ولا تزال، عصب الحياة في إيران لما تدرّه من أنواع الحبوب والخضراوات والفواكه المتنوعة والتبناك.

وأما عالم الصناعة، فقد حازت به إيران شهرة قديمة، ووقفت فيه على قدم ثابتة بين الأمم الحضارية القديمة؛ إذ عرفت ولا تزال بصناعة السجاد الفاخر.

وخلال القرن التاسع عشر، خضعت إيران لسيطرة وتغلغل الرأسمال الاستعماري، وكان على شكل إتفاقيات إقتصادية، وتجارية كانت تتم مع ملوك الأسرة القاجارية في حين كان الشعب الإيراني الخاسر فيها على الدوام.

وأبرز مثال على ذلك في تلك الفترة: الاتفاقية التي وقعها (ناصر الدين شاه) أحد ملوك الأسرة القاجارية مع إحدى الشركات البريطانية، والتي تقضي بإعطاء هذه الشركة حق احتكار (التبناك) لمدة خمسين عاماً.

ولولا تحرك محمد حسن الشيرازي، وإصداره لفتواه المشهورة بتحريم تدخين (التبناك) لما ألغي الإمتياز المذكور في عام ١٩٢٨م.

وفي مرحلة الحرب العالمية الأولى، كان لإكتشاف النفط في إيران أهمية كبيرة وخاصة بعد نشوب القتال، حيث أصبح هدفاً أساسياً للأطراف المتصارعة.

ومنذ عام ١٩٣٠م، توسعت دائرة نفوذ الشركات الأجنبية في إيران، حتى وصل عدد هذه الشركات إلى حدود مئة شركة مسجلة بحلول العام ١٩٤١م، في معظم القطاعات الأساسية والحيوية.

وشهدت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية بالنسبة لإيران، فترة

سباق للحصول على امتيازات بترولية للدول الكبرى، حيث قامت إحدى الشركات البريطانية للبترول بطرح مشروع جديد في سياستها البترولية، لكن البرلمان الإيراني رفض ما طرحته هذه الشركة من مشروع يتعارض مع المصالح الوطنية الإيرانية^(١).

واستمر الحال على هذا المنوال طول فترة حكم الشاه محمد رضا بهلوي.

وبعد انتصار الثورة الإسلامية، قام قادتها بزعامة الإمام الخميني بقطع أيدي الشركات الأجنبية المستغلة، واتجهت الجمهورية الإسلامية نحو سياسة الاكتفاء الذاتي في كل المجالات.

٣ - الغزو الفكري والثقافي:

خطورة تعرض أمة من الأمم إلى حالة غزو فكري وثقافي لا ينفىها أحد، وخاصة إذا كان هذا الغزو يستهدف تطويع هذه الشعوب، والعمل على هدم أركان حضارتها من أجل إضعافها واستغلالها وإحاقها بشكل من الأشكال وربطها بمفاهيم ومبادئ الشعوب الغازية.

وعادة ما يتم ذلك عن طريق الدعاية والإعلان، بحيث تقدم لهذه

(١) برأينا الشخصي: أن فشل تمرير هذا المشروع حصل نتيجة تقاطع مصالح غير مقصود، نذكر منها اثنين: الأول: ناجم عن الحركة الإسلامية الاحتجاجية ضد هذا المشروع التي قادها الزعيم الديني (نواب صفوي) وبمباركة من الكاشاني. والتي كانت تلحظ المصلحة الوطنية الحقيقية للإيرانيين والمسلمين. الثاني: تصويت نواب البرلمان ضد المشروع حيث يدور السواد الأعظم منهم في فلك الشاه الذي كان بدوره يعمل للمصلحة الأمريكية المتضررة من تمدد النفوذ الاقتصادي البريطاني في هذا الحقل الحيوي لها. وإلا فكيف تم رفض هكذا مشروع؟

الشعوب مجموعة من النماذج الفكرية والتربوية والسلوكية بأسلوب ذكي ومثير، يحمل عناوين براقية يمكن معها استمالة المشاعر العامة، وبالتالي السير بهذه الشعوب إلى مرحلة تبني هذه الأفكار والمفاهيم الجديدة.

وبعبارة أخرى، إيجاد البيئة الفكرية والثقافية المناسبة والمؤثرة بمبادئ ومفاهيم الأجيال اللاحقة.

من هنا، كان اهتمامنا بمحاولة فهم طبيعة البيئة الثقافية والفكرية التي نشأ وعاش فيها العلامة الطباطبائي، ومدى الأثر الذي تركته عنده، والدور الذي قام به، إن لجهة العلم، أو لجهة العمل.

في البداية، ولمحاولة فهم تأثير البيئة المحيطة على النشء أو الفرد، نستعرض لرأيين متخصصين في هذا المجال، يقول الدكتور حسن البار: «من المبادئ الأساسية التي لا يمكن تجاهلها أو التغافل عنها، هو أثر المحيط القوي والفعال في تكوين شخصية الفرد، فالطفل في بداية ولادته يأخذ بالتأثر والإنفعال بالمحيط، ويبدأ بالتفاعل معه والإكتساب منه، فيقتبس مختلف أنماط السلوك والمعتقد وأساليب العيش والانحراف، فللوالدين وسلوك العائلة ووضع الطفل فيها مثلاً دور كبير في بلورة شخصية هذا الطفل وتحديد معالمها، كما للمعلم وأصدقاء الطفل وللمجتمع ووسائله الفكرية والإعلامية وعاداته وأسلوب حياته سلطان كبير على سلوك الطفل وتفكيره.

ومن الواضح أن تأثير العالم الخارجي - البيت والمدرسة والمجتمع - لا يقف عند مرحلة الطفولة، بل إن ما يشاهده الطفل، أو ينفع به، أو يسمعه، أو يعاينه، يبقى ذا مغزى ومدلول عميق مترسباً في

أعماق العقل الباطن، يفعل ويؤثر، وينازع الإرادة في المستقبل ويقلقها ويشير المتاعب أمامها، أو على العكس من ذلك إذا كان مما يوافقها.

وإذن؛ فقد يعين العالم الخارجي الإنسان على السلوك الخير البناء، وقد يحرفه نحو سلوك شرير هدام.

من هنا، جاء التأكيد في التربية الإسلامية على القيم والأخلاق والمبادئ، كحقائق مستقلة متعالية على تأثير الواقع لتسلم من انحرافاته وآثاره.

ولذا صار الاهتمام بالغاً بتربية الإرادة، لما لها من دور وفاعلية في حياة الفرد والشعوب والأمم؛ فبالإرادة المنفصلة عن تأثيرات المحيط والملتزمة بالقيم والمبادئ المتعالية على واقع العالم المحيط بالإنسان برز القادة والمفكرون والمصلحون، ونادوا بالثورة على الواقع وتغييره، بعد أن اكتشفوا مواطن الداء والانحراف فيه، واستطاعوا أن يضعوا موضوعاً اجتماعياً جديداً بواسطة الإرادة والفكرة المجردة^(١).

ويضيف د. تاننبام^(٢) على ما تقدم شرطاً إضافياً، حيث جعل الموهبة الخاصة واحدة من عوامل التأثير على الفرد بالإضافة إلى محيطه. وذلك من خلال قوله:

«إن التفوق والموهبة هي حالة استعداد، أو قابلية الفرد لتكوين

(١) حسن البار، حسن بن عبد القادر، مبادئ في تربية النشء المسلم، والدكتور حسن هو أستاذ في كلية العلوم في جامعة الملك عبد العزيز، جدة.

(٢) Dr.Abraham j.Tannenbaun، أستاذ محاضر في جامعة (كولومبيا - نيويورك)، له نظرية خاصة في علم النفس التربوي تعرف بـ - (مفهوم تاننبام للتفوق والموهبة).

الأفكار والأعمال للوصول إلى تحقيق الإنجاز، وتحسين الحياة البشرية عقلياً وأخلاقياً ومادياً ووجدانياً وإجتماعياً وجمالياً».

... وأكد أن وجود الإستعدادات والقدرات الخاصة لدى الطفل لا تحقق الإنجاز بوجودها كإستعدادات أولية، ولكن وجود الظروف البيئية المناسبة يشكل أهمية كبرى في تطور المواهب ونموها. وذكر أن هنالك خمسة عوامل تشكل التفوق والموهبة لدى الفرد، وهي:

- ١ - القدرة العقلية العامة المرتفعة، أو نسبة الذكاء.
 - ٢ - الإستعدادات الخاصة، وهذه يمكن أن تتفاوت بين طفل وآخر.
 - ٣ - العوامل غير المعرفية، كالتفكير الإيجابي أو الثقة بالنفس.
 - ٤ - العوامل الظرفية أو العوامل البيئية، كالعامل الوراثي أو مكان وزمان نشأة الطفل.
 - ٥ - عامل الحظ أو الصدفة، وهي عبارة عن توفر الفرصة للفرد لطرح موهبة في المكان والزمان المناسبين.
- وأكد على ضرورة توافر هذه العوامل الخمسة حتى تتبلور مكونات التفوق والموهبة.

وبالخلاصة، فإن تانبام يركّز على أهمية العوامل الخارجية والداخلية للفرد، والظروف البيئية المحيطة والمؤثرة على أدائه^(١).

(١) السليمان، نوره، مقالة مفهوم تانبام للتفوق والموهبة، ضمن سلسلة مقالات مشاكل الموهوبين والمتفوقين. ونوره إبراهيم محمد السليمان. أستاذ مساعد بقسم التربية الخاصة بجامعة الملك سعود، جدة.

وعند استعراض البيئة الفكرية والثقافية التي نشأ وعاش فيها العلامة الطباطبائي على ضوء ما تقدم، يتبين معنا الآتي:

أ - على مستوى الأسرة: فإن حالة اليتيم التي عاشها الطباطبائي ضمن أسرة كان أكبر أفرادها، حفزت لديه النزعة الجدية والواقعية لجهة التعاطي مع المحيط في المرحلة الأولى، والتي استمرت معه إلى النهاية.

ب - وعلى المستوى التربوي: فلكونه ينحدر من أسرة مشهورة بالعلم والعلماء، فقد أحيط وأخوه بعناية تربوية خاصة وفرها لهم الوصي القيم على شؤونهما، فتلقيا علومهما في بيئة دينية رسخت فيهما المبادئ والقيم الإسلامية بعيداً عن المفاهيم والمبادئ التي كانت تغزو المجتمع الإيراني آنذاك.

ج - وعلى مستوى الاستعداد والقدرات العقلية الخاصة: فإننا نجد العزيمة والإصرار والإرادة على الفهم والتعلم من السمات التي اتسم بها منذ الصغر، والحادثة^(١) التي جرت معه في بداية تحصيله العلمي خير شاهد على المدعى.

بالإضافة إلى العلوم التي توسع في تحصيلها كالرياضيات والفلسفة والهيئة والفلك، والتي تحتاج إلى مستوى عال من الفهم والذكاء، كل ذلك يؤكد القدرة العقلية المميزة التي كان يتمتع بها.

د - وأما على مستوى العوامل اللامعرفية: فإنه، بالإضافة إلى المستويات الثلاثة السابقة، كان لعامل إهتمام الأساتذة به بشكل خاص كما حصل مع السيد حسين البادكوبي^(٢)، أو مسألة نيله الإجازات

(١) راجع سيرته الفكرية حيث قمنا بذكر هذه الحادثة بشكل مفصل، ص ٢٨.

(٢) راجع سيرته الفكرية، ص ٣١.

المتعددة في الإجهاد والدراية وما شابه، وثقافته الواسعة في جملة من العلوم، وانفتاحه على بيئته الثقافية والاجتماعية، ووعيه لما تعانيه من أزمات؛ المساهمة الفعالة والايجابية لتلك الإنطلاقة وطرحه الحلول من وجهة نظره وبكل ثقة واطمئنان.

و - أما مسألة ما يسميه تانبام (عامل الحظ أو الصدفة)؛ فلا نوافقه على هذه التسمية بالشكل والمضمون انطلاقاً من حيثيتين: علمية واعتقادية.

فأما العلمية: وهي الإقرار العلمي بالحديث بوجود نظام كوني دقيق يعمل منذ ما يقارب مئات ملايين السنين، وهذا النظام يشمل الكون بما فيه من موجودات جمادية ونباتية وحيوانية وإنسانية، وبالتالي الإقرار العلمي بوجود هذا النظام على هذا النحو هو رد علمي ومنطقي على خطأ القول بالخطأ، أو الصدفة التي هي نتاج الفوضى.

أما الاعتقادية: هي أننا نؤمن بوجود نظام كوني دقيق يسير وفق مشيئة ناظم حكيم لا يفعل العبث، ولا تحصل لديه الفوضى.

وبالتالي، فإننا نرى أن كل هذه الظروف التي عاشها العلامة الطباطبائي، والمراحل التي قطعها، والأسباب التي هيأت له، والدور الذي قام به، إنما كان لهدف وحكمة وغاية تجري لمستقر لها بعين لطيف خبير.

وأما لجهة الدور الذي قام به العلامة الطباطبائي، والذي من خلاله أسس لبنان فكري فلسفي واقعي، إنما انطلق نتيجة عدة أسباب منها:

أ - وعيه للأزمات والمشاكل الفكرية والثقافية التي كانت تعاني منها المجتمعات الإسلامية عامة، والمجتمع الإيراني بشكل خاص.

نتيجة الصراع الذي كان قائماً بين الغرب المتمثل بالولايات

المتحدة وبريطانيا من جهة، واللذان كانتا تعملان على نشر المبادئ والمفاهيم الغربية، وبين الإتحاد السوفياتي (روسيا) التي كانت تعمل على نشر المبادئ والمفاهيم الشيوعية.

في بيئة كانت تشهد على تراجع المنظومة الفكرية الإسلامية، والتي كانت متمثلة بالأسرة القاجارية من ناحية، والدولة العثمانية من ناحية أخرى.

ولقد قام العلامة الطباطبائي بشرح هذه الأوضاع بشكل مسهب في كتابه (نظرية السياسة والحكم)^(١)، وعمل فيه على تشخيص مواطن الخلل في كل هذه الأمور، ومن ثمّ قدّم الحل الناجح والمتمثل بضرورة قيام الحكومة والولاية الإسلامية بشروطها الصحيحة، والتي ضمّنها الكتاب المذكور.

ب - تلمّسه لخطورة الطرح الشيوعي القائم على أساس فلسفة (المادية الديالكتيكية)، حيث اعتبر أن انتشار هذه النظرية يؤدي إلى تقويض أركان العقيدة الإسلامية، في حين أنّ الطروحات الغربية، وإن كانت تشكل خطراً أيضاً على العقيدة الإسلامية، ولكنها ليست بمستوى حجم الخطر الأول.

فانبرى متصدياً لهذه الأخطار، عاملاً على تنفيذها وإظهار مكامن الخلل فيها، ولا سيما (المادية الديالكتيكية) وما حملته من أفكار ومغالطات فلسفية.

فكان أول ما قام به العلامة الطباطبائي هو: إعادة إحياء العلوم

(١) الطباطبائي، محمد حسين، نظرية السياسة والحكم في الإسلام، ترجمة محمد مهدي الآصفي، منشورات المكتبة الإسلامية الكبرى لمؤسسة البعثة، دار الغدير، بيروت، ط٢، ١٩٨١م.

العقلية والفلسفية تحديداً، والتي كانت مادة غير منهجية وهامشية في الحوزة العلمية في كثير من الأحيان، أو ممنوعة يعاقب الطالب عليها بقطع راتبه الشهري^(١) في بعض الأحيان.

إلا أن العلامة الطباطبائي أصرّ على تدريس الفلسفة رغم كل شيء، وهذا ما عبّر عنه بقوله: «... ولكنّ اليوم، كل طالب يدخل إلى قم، فإنه يأتي محمّلاً بعدة حقائب من الشبهات والإشكاليات.

واليوم يجب أن ندرك الطلاب، ونعدّهم لمواجهة الماديين وعقائدهم على أساس صحيح، ونعلمهم الفلسفة الإسلامية الحقّة، ونحن لن نترك تدريس الأسفار»^(٢).

وعليه، لم يمر على محاولة الطباطبائي هذه إلا بضع سنين، حتى ازداد في قم عدد الطلاب الذين يتمتعون بمعلومات فلسفية جامعة نسبياً، وإحاطة بالبحوث الفلسفية ولا سيّما الفلسفة المادية، وعرفوا المغالطات التي يتوسل بها أصحاب هذه الفلسفة^(٣).

ج - قيامه بوضع كتاب (أسس الفلسفة والمذهب الواقعي) الذي عمل من خلاله على إعادة رسم المنظومة الفكرية الفلسفية الإسلامية الشاملة، والذي تعرض فيه أيضاً للفلسفة (المادية الديالكتيكية) بالنقد

(١) الطهراني، محمد الحسين الحسيني، الشمس الساطعة، دار المحجة البيضاء، بيروت، ط ١، ت ١٩٩٧م، ص ١٠١ - ١٠٥.

(٢) م.ن، ص ١٠٥، وانظر أيضاً مقالة شمولية العلامة الطباطبائي، للشيخ جعفر السبحاني، في كتاب سيرة العلامة الطباطبائي، إصدار دار الهادي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م، ص ٣١١.

(٣) الطباطبائي، محمد حسين، أسس الفلسفة والمذهب الواقعي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط ٢، ١٩٨٨م، ص ٢٤.

العلمي العميق، الأمر الذي جعل هذه الفلسفة المادية تبدو من بعد هذا النقد أشبه إلى السفسطة منها إلى الفلسفة.

وعن هذا الكتاب، يقول د. مطهري: «وسعينا في هذا الكتاب إلى توضيح كل انحرافات المادية الديالكتيكية؛ وربما يعترض علينا بعض الناس الذين عرفوا أن هذه الفلسفة لا تتمتع بأساس رصين، بأننا تناولناها بالنقد والتمحيص أكثر مما تستحق، ولكننا نذكر هؤلاء بأننا لم نلاحظ في هذا مقدار القيمة الفلسفية والمنطقية لهذه الفلسفة، وإنما لاحظنا كثرة المنشورات المتعلقة بالمادية الديالكتيكية في بلادنا، بحيث اجتذبت اهتمام كثير من شبابنا، ولعلّ بعضهم قد آمن بأن المادية الديالكتيكية هي أرفع نظام فلسفي للعالم، وهي ثمرة مباشرة للعلوم الحديثة ومن خواصها التي لا تنفك عنها، وإن الحكمة الإلهية قد انتهت مرحلتها التاريخية، ولهذا رأينا من اللازم أن نتناول محتويات هذه الفلسفة، وذلك المنطق بالتحليل والنقد لتبين للجميع قيمتها الواقعية^(١).

ونختم هذا الموضوع بما قاله جعفر سبحاني حول كتاب (أسس الفلسفة): «وقد قدّم العلامة الطباطبائي، بهذا الكتاب، خدمة أخرى إلى عالم الفلسفة، وهو أنه قرّب إلى حد ما بين فلسفة الشرق والغرب، فالإنسان حين يقرأ فلسفة الغرب التي طرحها بعض العلماء مثل ديكرت وكانت وهيغل، يتصور إن فلسفة الغرب تتباين تماماً عن فلسفة الشرق والنقاط المشتركة بينهما قليلة، لكنه عندما يقرأ أسلوب الواقعية يجد رأياً آخر، ويلتفت إلى أن هنالك مسائل مشتركة بين الفلسفتين، وأنهما مختلفتان من ناحية العنوان، وليس من ناحية المضمون...»^(٢).

(١) أسس الفلسفة والمذهب الواقعي، م.م، ص ٣٩، من مقدمة الدكتور مرتضى مطهري.

(٢) مقالة شمولية العلامة الطباطبائي، م.م، ص ٣١٢.

ثانياً سيرته الزمنية

مولده^(١):

شهدت قرية (شاد آباد) من ضواحي تبريز الإيرانية في أواخر العام (١٣٢١هـ - ١٩٠٠م) وتحديدًا في التاسع والعشرين من ذي الحجة، ولادة السيد محمد حسين الطباطبائي، في أسرة علمية امتازت بنسبها الحافل بالأشراف والعلماء، وكانت سلسلة أجداده كلها من العلماء المعروفين في تبريز.

نشأ وترعرع يتيماً، وذلك بعد وفاة والدته أثناء وضعها لأخيه السيد محمد حسن، وكان عمر السيد محمد حسين آنذاك خمس سنوات.

ولم يكد يصل به العمر إلى السنة التاسعة حتى فقد أباه أيضاً، فبقي وحيداً مع أخيه، وحفاظاً على حياتهما من التداعي، تابع وصيهما^(٢) رعايتهما كسابق الحال، واستخدم لأجل ذلك خادماً وخادمة^(٣) أشرفا بشكلٍ مستمر على أمورهما بدقّة، حتى كبرا وأنها دراستهما الابتدائية.

(١) الشمس الساطعة، م.م، ص ٢٤ - ٩٦.

(٢) كان اسم هذا الوصي: السيد محمد باقر القاضي (خالهما)، الشمس الساطعة، م.م، ص ٣٥.

(٣) كان اسم الخادم: كربلائي قلي، واسم الخادمة، سلطنة خانم، م.ن، ص ٣٤.

وفي جميع المراحل العلميّة، لم يفارق أحدهما الآخر، وبقياً معاً رفيقين شفيقين في السراء والضراء، وكان مصدر معيشتهم، وأخيه محصوراً بزراعة الأرض التي كان يملكها في قرية شاد آباد في تبريز منذ الطفولة والتي قد ورثها عن أسلافهما.

نسبه:

هو محمد حسين بن محمد بن محمد حسين بن الحاج الأميرزا علي أصغر شيخ الإسلام بن الأميرزا محمد تقي القاضي بن الأميرزا محمد القاضي بن الأميرزا محمد علي القاضي بن الأميرزا صدر الدين محمد بن الأميرزا يوسف نقيب الأشراف بن الأميرزا صدر الدين محمد بن مجد الدين بن السيد إسماعيل بن الأمير علي أكبر الشهير بميرشاه مير بن سراج الدين الأمير عبد الوهاب بن الأمير عبد الغفار بن السيد عماد الدين أمير الحاج بن فخر الدين حسن بن كمال الدين محمد بن السيد حسن بن شهاب الدين علي بن عماد الدين علي بن السيد أحمد بن السيد عماد الدين بن أبي الحسين علي الشهاب بن أبي الحسن محمد الشاعر بن أبي عبد الله أحمد الشاعر بن أبي جعفر محمد الأصغر بن أبي عبد الله أحمد بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن بن علي عليه السلام وابن فاطمة بنت الإمام الحسين بن علي عليه السلام.

من ألقابه: الحسني، الحسيني، الطباطبائي^(١).

ونسبة الطباطبائي ترجع إلى أحد أجداده وهو إبراهيم طباطبا بن

(١) اعتمدنا في بيان نسبه على صورة من رسالة كتبها الطباطبائي بخط يده للدكتور =

إسماعيل الديباج من أحفاد الإمام الحسن عليه السلام .
 وإنما لقب طباطبا لأنّ أباه أراد أن يقطع له ثوباً وهو طفل فخيرّه
 بين قميص وقبا، فقال: طبا طبا يعني قبا قبا، وقيل: أن أهل السواد
 لقبوه كذلك ويعني بلسان النبطية سيد السادات .
 وقال السيد محسن الأمين بهذا الخصوص: «أنه جد السادات
 الطباطبائية وإليه ينتسبون»^(١) .
 وأما بالنسبة إلى لقبه (الحسيني)؛ فلأن أمه كانت تنحدر من سلالة
 الأشراف ذرية الإمام الحسين عليه السلام ^(٢) .

وفاته^(٣):

أمضى السيد الطباطبائي الفترة الأخيرة من عمره تحت وطأة
 المرض، الذي كان يشتدّ عليه من حين لآخر وينقل على إثرها إلى
 المستشفى لتلقي العلاج، ليعود من بعدها إلى المنزل .
 إلى أن جاء يوم ساءت فيه حالته بشكل غير مسبوق نقل على أثرها
 إلى المستشفى في قم، وعند خروجه من منزله قال لزوجته: لن أعود
 بعد .

= علي الأوسي اثناء قيام الأخير بإعداد رسالة عن الطباطبائي ومنهجه في التفسير،
 ولمزيد من الإيضاح يمكن مراجعة: الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان، م.م،
 ص ٣٦، كما ذكره الطهراني، آغا بزرك، في طبقاته، دار الكتاب اللبناني، بيروت،
 ط ٥، ١٩٧١ م.

(١) الشمس الساطعة، م.م، ص ٣١.

(٢) م.ن، ص ٣١.

(٣) م.ن، ص ١٢٠ - ١٢٩.